المقاومة الثقافية للأمير عبد القادر الجزائري

من خلال التعليم

✍ أ. أحمد بن داود
رئيس شعبة التاريخ جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان

المقدمة:

اهتم كثير من الباحثين والدارسين بتاريخ الأمير عبد القادر ومقاومته للاستعمار الفرنسي، لكن في دراساتهم العديدة ركزوا بالخصوص على الجانبين العسكري والسياسي لهذه المقاومة، حيث أن الأمير "المحارب" أخفى الأمير "العارف"، و"العالم"، و"المدرس" ...

إن هذا التوجه في الدراسات التاريخية حجب عنا مساحات كبيرة من تاريخ الأمير الذي بقدر ما كان عسكريا وسياسيا محنكا كان رجل فكر وعلم، عميق المعرفة في علوم الدين والدنيا، وله آراء في مختلف قضايا عصره الفكرية والمعرفية، لهذا فليس من الغريب أن يفتح جبهات متعددة في مقاومته للاستعمار الفرنسي، إذ إلى جانب مقاومته العسكرية والسياسية مارس مقاومة ثقافية وفكرية عكسها اهتمامه بالشأن الثقافي أثناء تنظيمه لدولته، وكل ما يرتبط بذلك من تعليم ومكتسبات ...، وذلك بغرض تحقيق معالم مشروعه الحضاري التجديدي على أساس أن الأمير كان أحد رموز الحداثة العربية الإسلامية وأحد رجالات النهضة في العالم العربي الإسلامي. لهذا فكثير من التساؤلات تتبادر إلى ذهن الباحث: لماذا أعطى الأمير هذه الأهمية للتعليم في إطار هيكلة دولته؟ وماهي مظاهر هذا الاهتمام؟ و كيف سير منظومته التعليمية؟ وماهي طبيعة مجهوداته في مجال حفظ الكتاب وبناء المكتبات؟

1- أسباب و عوامل اهتمام الأمير عبد القادر بالتعليم

في إطار هيكلة دولته وبنائها، سواء في الميدان الاقتصادي أو العسكري أو الإداري أو القضائي أو الثقافي، نال التعليم حظا وافرا من اهتمام الأمير وذلك للاعتبارات الآتية:

- التكوين الجاد الذي تلقاه الأمير سواء في زاوية أبيه بالقيطنة، أو في أرزيو على يد أستاذه أحمد بن طاهر، قاضي المدينة، وولعه الشديد بالدراسة منذ فتوته الأولى. في مذكراته لا يخفي الأمير إعجابه بجو الدراسة داخل الزاوية إذ يقول في هذا الخصوص: "... وأما طلبة القرآن الذين قرأوا القرآن والعلم بقريته المذكورة فلا يحصون كثرة ولا يعدهم عاد... لا يخلو موضع قراءتهم من خمسمائة إلى ستمائة بحيث لا يسمع المار إلا دوي القرآن في كل وقت مع تدوين العلم بأكثر أنواعه بمسجدها ... وكانت فيه نحو السبع مجالس للتدريس ..."[1]

- تقاليد عائلة الأمير العريقة و التي تقوم على تقدير العلم و العلماء، فأبوه محي الدين كان شيخ زاوية ويلقي بها دروسا في الدين والتشريع، وألف كتابا بعنوان "إرشاد المريدين"[2] باعتباره كان مقدم الطريقة القادرية التي ورثها عن أبيه الحاج مصطفى بن المختار الراشدي، والذي أخذها بدوره عن الشيخ الزبيدي بمصر.[3]

إن هذه المعطيات تقدم لنا صورة جلية عن الجو الثقافي والديني الذي كان يطبع بيت الشيخ محي الدين و الذي كان يعرف توافد العلماء و الفقهاء و الشيوخ لحضور الندوات الدينية التي كان يحضرها كذلك الطلبة من مختلف جهات البلاد.

- إدراك الأمير عبد القادر أن نجاح مقاومته للاستعمار الفرنسي رهينة بمدى انتشار الوعي القومي بين مختلف فئات المجتمع الجزائري[4] وتكوين نخبة واعية بمخاطر السياسة الاستعماريـة، وخاصة في الميدان الثقافي، وقادرة على استيعاب كنه وعمق مقاومته التي لم تكن مجرد مواجهة عسكرية وسياسية مع الاستعمار الفرنسي، بل مواجهة حضارية مع الغرب الرأسمالي، الذي تشكل فرنسا أحد قواعده الهامة، وذلك بأبعادها العلمية والتقنية والعسكرية.[5]

فالأمير عبد القادر الذي بفعل إدراكه لأهداف السياسة الاستعمارية في ميدان التعليم والقائمة على مراقبة التعليم الديني الحر و عرقلة نشاطه بغرض إفراغ المجتمع من نخبه الدينية والفكرية و تدمير منطق إنتاجها[6]، كان يريد أن يعطي لمقاومته كل الأدوات والوسائل الكفيلة بتحقيق النصر، بما في ذلك نخبة من الطلبة قادرة على استيعاب مشروعه الحضاري التجديدي الهادف إلى فك الخناق عن التجديد الفكري[7] باعتباره "كمنطلق النهضة الحضارية والخروج الواعي ما نسميه بالغفلة المعرفية".[8]

2- تنظيم التعليم في دولة الأمير:

كان نشر التربية والتعليم في الجزائر على النمط الحديث من الانشغالات الهامة للأمير، لهذا فقد عمل على تنظيم مختلف مستوياته وأطواره وفق ما يلي:

- **الطور الابتدائي:** يستغرق أربع سنوات تقريبا، ويتعلم الطفل خلالها مبادئ القراءة والكتابة وبعض مبادئ الحساب، ويحفظ القرآن[9]. وقد تم بناء المدارس في المدن والكتاتيب في القرى إذ في كل قبيلة من القبائل كانت هناك خيمة تدعى الشريعة يشرف عليها مؤدب يختاره سكانها.[10] استعان الأمير في هذا الطور بالزوايا خاصة وعمل على تطويرها وتزويدها بكل ما تحتاج إليه من أسباب المعرفة ووسائلها، سواء تعلق الأمر بالمعلمين أو الفقهاء أو الكتب والمراجع، وذلك لأنها كانت الشبكة التربوية الوحيدة المتاحة آنذاك لمواجهة متطلبات المرحلة.[11]

- **الطور الثانوي:** ويطلق عليه بعض الدارسين الطور الإكمالي[12]، إذ عندما يتفوق التلاميذ وتظهر عليهم بوادر النبوغ، ينتقلون إلى هذا الطور، حيث يواصلون تعليمهم مجانا في الجامع أو الزاوية أو مدرسة ملحقة بالأوقاف. وكانت الدروس تشمل النحو والتفسير[13] والتاريخ والإلهيات.

- **التعليم العالي:** حسب أديب حرب، لا يوجد هناك فصل واضح بين التعليم الثانوي والعالي، فالأستاذ الذي يدرس في هذه المرحلة يسمى عالما ويتقاضى أجره من الأوقاف، وكانت الدروس تشمل النحو والفقه والحديث والحساب والفلك والتاريخ ...، ويتلقاها الطلبة إما في الزوايا أوفي الجوامع.[14]

3- مظاهر اهتمام الأمير بالتعليم

تظهر الأهمية الكبرى التي أعطاها الأمير عبد القادر للتعليم من خلال موقفه من العلماء والطلبة وطريقة تنظيمه لهذا القطاع في دولته ويتمثل ذلك فيما يلي:

- تعيينه في حكومته لناظر للأوقاف، وهو الحاج الطاهر أبو زيد، الذي كان يتولى العناية بكل ما يتصل بالأوقاف و المساجد و ربط التعليم بإدارته.[15]

- ترتيب المعلمين و تقديم مرتبات لهم حسب درجاتهم العلمية[16] وكفاءة كل واحد منهم، وكان الأمير يحيطهم باحترام وتقدير متزايدين، وقد حدث أنه عفا عن أشخاص ارتكبوا جرائم كبيرة بسبب أنهم معلمون مبررا موقفه هذا بأنه لن يقدم على إعدام شخص تطلب تكوينه سنوات طويلة[17]، وبذلك يعبر الأمير عن موقفه الإنساني السامي وعن سماحته إذ يعطى فرصة لمجرم للتكفير عن ذنوبه وإعادة تربيته وإدماجه من جديد في المجتمع.

- تخصيص مساعدات لطلاب العلم وشيوخ الزوايا ورعاية المؤسسات الدينية والثقافية.[18]

- جعل التعليم مجانيا وفي متناول الجميع، والتكفل التام بالطلبة، وحسب إدريس الجزائري فإن الأمير أول من ادخل نظام الوجبة الغذائية المدرسية[19] وهذا نظام جديد ومبتكر في ذلك الوقت. إضافة إلى ذلك فقد تم إعفاء الطلبة من الضرائب والمطالب الأميرية على مختلف أنواعها.[20]

- إقامة مكتبة عامرة و وضعها في خدمة الطلبة و العلماء، وجمع الكتب والمخطوطات لهذا الغرض من داخل وخارج البلاد، وتزويد الزوايا والمساجد بها، وقد بلغ عدد كتب ومخطوطات مكتبة الأمير المتنقلة عند مهاجمة عاصمته الزمالة من قبل الدوق دومال حوالي 5000 كتاب ومخطوط.

- تشجيع المتفوقين من الطلبة وتقديم منح خاصة لهم.[21]

إن هذا التنظيم المحكم للمنظومة التعليمية للأمير عبد القادر والتقدير والعناية التي كان يخص بهما العلماء و الطلبة لتعطينا صورة صادقة لتجربة الحداثة العربية الإسلامية في القرن 19 في الجزائر و التي لم يعادلها في العالم العربي الإسلامي إلا تجربة محمد علي في مصر[22]. ولو أتيحت لتجربة هذا الأخير أن تنضج في مصر و لتجربة الأمير عبد القادر أن تتواصل في الجزائر لتغير مجرى الأحداث في الوطن العربي[23]، لكن القوى الاستعمارية آنذاك لم تكن لتسمح بذلك نظرا للخطر الذي كانت تشكله التجربتان على مصالحها في المنطقة العربية.

4- النشاط التعليمي للأمير عبد القادر

مقاومة الأمير عبد القادر لم تنته باستسلامه المشروط في 23 ديسمبر 1847 بضواحي مدينة الغزوات بولاية تلمسان بحضور الحاكم العام للجزائر الدوق "دومال " إبن الملك لويس فيليب، والجنرال لاموريسيار، بل تواصلت وذلك حيثما حل، سواء عندما كان في الأسر بقصر "أمبواز" أو في بروسه[24] بتركيا أو في دمشق بسوريا، حيث فتح الأمير "العارف" و"المعلم" جبهة جديدة للكفاح ضد الاستعمار الفرنسي وذلك بنقله المقاومة من المجال العسكري إلى المجال الثقافي والتعليمي وحقق إنتصارات على مستوى الفكر والمعرفة أنست العالم هزيمته العسكرية، وأصبح نمودجا للعالم والمثقف المسلم القادر على إستيعاب حقائق عصره، والتعايش مع مختلف الديانات والثقافات في إطار التسامح الديني، والذي يستعمل أدوات كفاح جديد وفي هذا الصدد ورد في مذكرات الأمير ما يلي: " يجد (المقصود هنا الأمير) في الوزن و السجع و الجناس ما يبحث عنه في السيف و الرمح والبندقية من وسائل لردع المظالـم واسترجاع الحقيقة المغتصبة في الميدان وبث روح العدل وإقرار السلم في العالم".[25]

أ- نشاط الأمير التعليمي في فرنسا:

داوم الأمير عبد القادر على تدريس العلم ومواصلة مجهوده التعليمي وإفادة الطلبة من عائلته وأصحابه حتى وهو في الأسر بقصر أمبواز، إذ قرأ عليهم، حسب إبنه محمد في كتاب تحفة الزائر، " الصغرى" للسنوسي في علم الكلام و رسالة محمد بن أبي زيد القيرواني في الفقه، على مذهب الإمام مالك وغيرها من المصنفات المفيدة. و قد تأثر بذلك أخواه محمد سعيد ومصطفى وشرعا بدورهما في تقديم بعض الدروس،أفادا بها كثيرا طلابهم، إذ قاما في حلقاتهم الدراسية بقراءة "صحيح البخاري" وكتاب "الشفاء" للإمام عياض.[26]

إن هذا النشاط التعليمي الواسع للأمير وهو في الأسر، كان يعكس معنوياته العالية وقوة إرادته رغم الظروف الصعبة التي كان يجتازها وهو محروم من حريته، كما أن ذلك يؤكد تصور وإيمان الأمير بأن المقاومة ليست بالضرورة بالسلاح والبارود بل هناك أشكال أخرى للصمود والمقاومة ،ومجالات وساحات أخرى لمواجهة الاستعمار من بينها المجال الثقافي والتعليمي، ولهذا أثر عنه أنه بعد الانتهاء من تعليم أحد أبنائه قال : "هذه آخر بندقية بقيت لي".[27]

لكن رغم اشتغال الأمير بتقديم الدروس وتنشيط حلقات لهذا الغرض، فإنه كان يشعر بالضجر والعزلة قام باختيار الشيخ محمد الشاذلي القسنطيني لمؤانسته ومجالسته، فانتقل هذا الأخير إلى أمبواز حيث استأنس الأمير بالشيخ وبعلمه. [28]

وبعد إطلاق سراحه من قبل نابوليون الثالث[29] سنة 1852، واصل الأمير نشاطه الثقافي والفكري حيث أنه أثناء زيارته لمدينة باريس اجتمع بالعلماء الفرنسيين وناظرهم وتناقش معهم في مختلف المسائل العلمية و الفكرية وعبر عن روح تسامح عالية وإيمان قوي بإمكانية تعايش الديانات والعقائد المختلفة، ثم زار دار الطباعة الأميرية الفرنسية واطلع على مختلف مراحل عملها[30].

وعبر عم إعجابه الكبير لهذا الإنجاز الحضاري لهذا سأله بعض الأعيان عما رآه في باريس، رد عليهم بقوله:"بالأمس رأيت صناعة المدافع التي تهدم بها الحصون والقلاع، وفي هذا اليوم، رأيت الحروف التي تغلب بها أسر الملوك وتخرب دولهم ..." و لما اقترب موعد رحيل الأمير إلى بروسه قام بزيارة وداع واستئذان للإمبراطور نابليون الثالث استقبله بحفاوة وأخبره بتفاصيل المرتب الشهري الذي خصصته فرنسا له من خزينة الدولة ثم أهداه سيفا ثمينا وقال له "أنا على يقين بأنك لن تجرده على فرنسا ..." فأجابه الأمير إجابة بليغة تعبر عن استجابته لمتطلبات المرحلة وضرورة تغيير وسائل الكفاح: " إنني الآن ممن يستعمل العلم لا ممن يستعمل السيف".[31]

ب- نشاط الأمير التعليمي في بروسه

بعد إطلاق سراحه على يد نابليون الثالث سنة 1852 م،وانتقال الامير عبد القادر إلى الآستانة التي دخلها سنة 1269هـ/ 1853م[32] والتقى فيها بالسلطان عبد المجيد و"الصدر الأعظم " مصطفى رشيد باشا، شيخ الإسلام عارف حكمة بك، ثم أدى زيارة مجاملة للسفير الفرنسي الماركيز "دولا فاييت"[33] حيثما ذهب الأمير كان الناس يزدحمون لمشاهدته، وتقديم التحية له سواء في الطرقات أو في رحاب منازل الوزراء والأعيان، كما تنقل كثير من المهاجرين الجزائريين من تونس ومصر والحجاز والشام ... إلى بروسه لرؤيته ومن بينهم الشيخ يوسف بدر الدين المغربي المقيم في دمشق .

عند استقراره ببروسه واصل الأمير نشاطه التعليمي والتربوي، إذ كان يقضي أيامه هناك، حسب تشرشل في تربية وتعليم أبنائه وفي الدروس التي كان يقدمها في المسجد،

وفي دراسته ومطالعاته الشخصية والعبادة[34]، وهذا ما يؤكده ابنه محمد حيث يقول "وكان رضي الله عنه يصلي الصلوات الخمس، في الجامع القريب من الدار المعروف بجامع العرب ،ويقرأ فيه الدروس، فقرأنا عليه ألفية إبن مالك بشرح المكودي و"السنوسية " شرح المصنف والإسياغوجي "للفتاوى ".[35] إضافة إلى ذلك كان الأمير يواصل التربوي مع أبنائه حتى في المنزل العائلي وذلك بانتقاء مجموعة من الكتب التي يقرأها عليهم وذلك مثل كتاب "الإبريز في مناقب سيدي عبد العزيز الدباغ"[36].

ج- نشاط الأمير التعليمي في دمشق

بعد استئذانه السلطان العثماني، غادر الأمير عبد القادر بروسه سنة 1855 متوجها إلى سوريا حيث استقر بمدينة دمشق، حيث شرع في تقديم الدروس بالمسجد الأموي[37] وبالمدرسة الأشرفية[38] المعروفة بدار الحديث النووية، وذلك بعد تسوية النزاع الذي كان بين الشيخ يوسف بدر الدين المغربي، مسير المدرسة، وبين أحد الرعايا الأوروبيين والذي استولى على الدار التابعة للمدرسة وجزءا من مسجدها، بغرض تحويلهما إلى خمارة. لكن بعد تدخل الأمير عبد القادر، بطلب من الشيخ يوسف بدر الدين، وبفعل الغيرة على الدين والحمية الإسلامية واستدعى الرعية الأوروبية إلى منزله واشترى منه الدار وأوقفها على الشيخ يوسف وورثته من بعده سنة 1872 هـ، ثم تكفل بترميم المسجد والمدرسة على نفقته.[39]

بعد الانتهاء من أعمال الترميم والإصلاح، التحق الأمير بالمدرسة وشرع في تقديم دروسه بها سنة 1274 هـ "بصحيح البخاري" وذلك بحضور الشيخ يوسف بدر الدين، وتم تحديد موعدها ما بين صلاتي الظهر والعصر، لقد نالت هذه الدروس شهرة كبيرة في سوريا مما جعل كثيرا من العلماء والطلبة يحضرونها[40].

لم يبق نشاط الأمير التعليمي منحصرا في المدرسة الأشرفية بل وسع مجاله ليشمل" المدرسة الجقمقية" والتي درس بها كتاب "الإتقان في علوم القرآن" للإمام السيوطي، وكتاب "الإبريز في مناقب سيدي عبد العزيز" للسيد أحمد المبارك، ثم كتاب "الشفاء" للقاضي عياض[41]، و"صحيح مسلم".

لقد كان الإقبال على دروس الأمير المسجدية كبيرا لدرجة أنه بعد رجوعه من رحلة إلى الحجاز قام بفتح منزله لطلبة العلم وخصص لهم وقتا محددا يقدم فيه الدروس[42].

5- مكتبة الأمير ودورها التربوي:

لقد كان الأمير عبد القادر مولعا بالمطالعة وجمع الكتب واقتنائها مهما كان ثمنها أو مكان وجودها، ولهذا كانت مطالعتها من أهم الأنشطة التي يتفرغ لها بعد أداء الصلاة والذكر، وكان يطالع بالدرجة الأولى الكتب ذات الطابع الديني وعلى رأسها القرآن[43]، وكانت خيمته لا تخلو من الكتب أو المخطوطات النفيسة، ويشير إلى ذلك أدريان بيربروجير عند زيارته للأمير في برج حمزة، حيث أن أدريان عندما دخل خيمة الأمير المسماة "بالوطاق" وجده حسب قوله "متكئا على بعض الوسائد وعلى يساره حوالي ثلاثين مجلدا من الكتب، وأما على يمينه فقد وضعت أسلحة فاخرة ومرصعة...وكان كبير الكتّاب أو "الخوجات "عن يمين الأمير وأحد الشواش عن يساره"[44].

وقد كانت فرحة الأمير كبيرة عندما أهداه بير بروجير أحد الكتب النفيسة حيث يضيف تلك الفرحة "فيما يخصنيقدمت إليه (أي الأمير) هدية منذ أول لقاء معه، وهي نسخة عربية خطية وجميلة جدا من كتاب "دلائل الخيرات"كانت موجودة في قسنطينة، وهي تتضمن صلوات وأدعية وغيرها من مواضيع العبادة ،وقد ظهر أن الأمير عبد القادر قبلها بغبطة شديدة نظرا للموضوعات التي عالجتها ونظرا أيضا إلى كونها آتية من مكتبة بن عيسى، مساعد الباي أحمد.[45]

ولتوفير الكتاب وتسهيل عمل المعلمين والطلبة حرص الأمير على جمع الكتب واقتنائها حيثما وجدت، والحث على المحافظة عليها ومكافئة كل من يأتيه بكتاب أو مخطوط، كما أنه كان يدعو جنوده أثناء المعارك إلى تسليمه ما يقع بين أيديهم منها[46]، ويعاقب كل من يمسكه متلبسا بإتلافها أو تمزيقها[47] أو لم يحترم تعليمات الأمير في طرق التعامل مع الكتب والمخطوطات يعثر عليها أثناء الحروب. ومن شدة تعلق الأمير بالكتب واهتمامه بها أرسل بعض تلامذته حتى الأناضول وقونية[48] لنسخ مخطوطات ابن عربي أستاذه الروحي الذي تأثر به.[49]

كان الأمير يضع الكتب والمخطوطات التي يجمعها في المساجد والزوايا تحت تصرف العلماء والطلبة في انتظار إنهاء بناء مكتبته بتاكدمت، عاصمته الجديدة[50]، والتي شرع في بنائها سنة 1836 بمكان له رمزيته التاريخية. إذ كان الأمير يهدف من وراء اختيار الموقع إحياء العاصمة السياسية والفكرية والدينية القديمة للجزائر[51]، لكن تجدد القتال مع الفرنسيين،

بعد إقدامهم على خرق معاهدة تافنة سنة 1839، جعل أشغال البناء تتوقف و يتوقف معها مشروع المكتبة.

اضطر الأمير عبد القادر أمام تحرشات الفرنسيين وعدم شعوره بالأمن والطمأنينة في إقاماته الرسمية إلى بناء عاصمة متنقلة وهي الزمالة، يمكن تفكيكها ونقلها إلى أي مكان وإعادة تركيبها[52]، وبذلك أصبحت المكتبة متنقلة مع الزمالة إلى غاية 15 ماي 1843، عندما هاجمها الجيش الفرنسي بقيادة الدوق دومال[53]، واستولى على ما بها، بما في ذلك المكتبة التي تم نهب وبعثرت كتبها ومخطوطاتها وإتلاف قسم منها، وقد قدر عددها آنذاك بحوالي خمسة آلاف كتاب ومخطوط.[54]

لقد تألم الأمير عبد القادر كثيرا لذلك وهو يقتفي أثر الجيش الفرنسي، ويجمع البقايا المتناثرة للكتب الممزقة[55]. إن قراءة متمعنة في اهتمامه بعالم الكتاب والمكتبات ليدرك مدى وعيه العميق بأهمية تأسيس مكتبة عمومية بالنسبة لدولة من الدول، باعتبارها تشكل الأداة الكفيلة بالمحافظة على الذاكرة الجماعية للشعب الجزائري وتراثه، لهذا اعتبر عبد الحميد بن أشنهو بأن الجزائر لم تفقد استقلالها يوم 05 جويلية 1830 عند احتلال مدينة الجزائر، ولا يوم 23 ديسمبر 1847 عند استسلام الأمير المشروط، ولكن في يوم 15 ماي 1843 عند سقوط آخر عاصمة للبلاد، واستيلاء الفرنسيين للمرة الثانية على الخزينة العامة و الأرشيف الوطني[56]. وأمام خسارة بهذا الحجم لم يتردد يحي بوعزيز في تشبيه ما فعله جنود الدوق دومال بمكتبة الأمير بما فعله المغول بمكتبة بغداد سنة 1258، وما فعله الإسبان بالمكتبات الإسلامية بالأندلس بعد سقوط آخر إمارة إسلامية بها وهي غرناطة، وما فعلته منظمة الجيش السري (O.A.S) بمكتبة جامعة الجزائر في جوان 1962 بعدما أقدمت على إضرام النيران فيها.[57]

الخاتمة:

خلاصة القول أن تجربة الأمير و انجازاته في ميدان الثقافة والتعليم لا تقل أهمية عن انجازاته في الميدانين العسكري والسياسي، إذ أن فتح جبهة مقاومة جديدة على الاستعمار لم تتوقف إلا بمماته، وأسس لتجربة رائدة في ميدان التعليم لمواجهة السياسة الاستعمارية في هذا المجال، وقد أبدع الأمير و أجاد في تسييره لهذا القطاع الحساس واندرج تنظيمه هذا في إطار حداثي وتصور إصلاحي شامل و ذلك من خلال:

- العناية التي أحاط بها المعلمين والطلبة والتكفل باحتياجات الطلبة ومتطلبات تمدرسهم بغرض تشجيعهم على التحصيل العلمي.

- تطويره للإرث العثماني في ميدان التعليم وذلك بتدخل الدولة في تنظيمه وتسييره بعد أن كان يترك للمبادرة الشخصية للسكان.

- امتلاك الأمير لمفهوم حديث للمكتبة كمؤسسة لها وظيفتها في المجتمع والدولة باعتبارها مؤسسة حيوية حافظة للذاكرة الجماعية للشعب الجزائري و لتراثه الأدبي والفكري ....، كما أنه عن طريق اقتناء وشراء الكتب والحث على المحافظة عليها ووضعها في الزوايا والمساجد تحت تصرف العلماء والطلبة كان يشجع على المطالعة باعتبارها سلوكا حضاريا، وكان يعطي المثل في هذا المجال باعتباره كان يكثر من المطالعة.

إضافة إلى ذلك فإن تجربة الأمير في ميدان التعليم رغم قصر مدتها وانشغاله بالحروب والمعارك ضد الاستعمار الفرنسي، فقد أعطت نتائج ايجابية تمثلت في إقبال السكان على إرسال أبنائهم إلى المدارس، هذا فضلا عن أنها عبرت عن وعي حقيقي بمخاطر السياسة الاستعمارية في الميدان الثقافي وضرورة مقاومتها على مختلف الجبهات بما في ذلك الجبهة الثقافية والفكرية.

وأخيرا يمكننا القول بأن الجانب الثقافي و الفكري من تاريخ الأمير عبد القادر لا زال في حاجة إلى دراسة وبحث، "فالورشة الأميرية" لا تزال في هذا المجال قادرة على الهام الباحثين والدارسين بمواضيعها العديدة والمتنوعة وذلك لعشرات السنين.

الهوامش:

(1)- مذكرات الأمير عبد القادر، تحقيق محمد الصغير بناني، محفوظ سماتي، و محمد الصالح الجبون، ط7، شركة دار الأمة، الجزائر،2010، ص 49.

(2)- صلاح أحمد، الأمير عبد القادر المتصوف و المصلح، منشورات دار الأديب، وهران، 2007، ص 25.

(3)- نفسه، ص 26.

(4)- بوعزيز يحي، الأمير عبد القادر الجزائري رائد الكفاح الجزائري، الدار العربية للكتاب و الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، تونس، 1983، ص 140.

(5)-جورج الراعي، الدين والدولة في الجزائر، من الأمير عبد القادر...إلى عبد القادر، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2008، ص75.

(6)- محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الإحتلالي، دراسة في الذهنيات و البنيات و المآلات، ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع، بيروت، 2009، ص 234.

(7)-طيبي محمد، الرواية المعرفية و التدبير السياسي، قراءة في الإرهاصات الجيوسياسية للفكر الأميري، ضمن كتاب تبر الخواطر في فكر الأمير عبد القادر، تأليف جماعي، ط1، دار القدس العربي، الجزائر، 2000، ص 61.

(8)- نفسه، ص 62.

(9)- أديب حرب، التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر الجزائري 1808-1847، ج2، ط3، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2005، ص 70.

(10)- أديب حرب، المرجع السابق، ص 70.

(11)- جورج الراعي، المرجع السابق، ص 75.

(12)- صلاح أحمد، المرجع السابق، ص 88.

(13)- أديب حرب، المرجع السابق، ص 71.

(14)- نفسه، ص 71.

(15)-رابح بونار، نظام الحكم في إمارة الأمير عبد القادر، مجلة الأصالة، العدد 23، جانفي، فيفري، 1975، ص 45.

(16)- نفسه، ص 49.

(17)- Charles Henry Churchill, la vie d'Abd El-Kader, Editions ANEP, Alger, 2009, P117.

(18)- جورج الراعي، المرجع السابق، ص 43.

(19)- استجواب مع إدريس الجزائري، جريدة الحياة ، عدد 8-12-1991، ذكره جورج الراعي، المرجع السابق، ص43.

(20)-محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع والمؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1982، ص 128.

(21)- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 141.

(22)-أحمد عبد الحليم عطية، الأمير عبد القادر الجزائري في مصر، ضمن كتاب تبر الخواطر في فكر الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 215.

(23)- جورج الراعي، المرجع السابق، ص 75.

(24)-تعتبر بروسه رابع اكبر مدن تركيا تقع شمال غرب البلاد بين مدينتين استنبول و أنقرة فتحها السلطان اوران غازي في 1326م وأصبحت اول عاصمة للإمبراطورية العثمانية ، تعرضت لتدمير بعد غزو المغول لها بقيادة تيمور لنك عام 1402م، و بعد استرجاعها من قبل العثمانيين نقلوا عاصمتهم منها الى "أدرنة" ثم الى "استنبول " سنة 1453م ، وبذلك تراجعت أهميتها نسبيا.

المدينة غنية بالعديد من المعالم الحضارية و المعمارية و المباني الأثرية مثل : الجامع الكبير ، جامع مراد الأول، والجامع الأخضر إلى جانب بعض الأضرحة و مدافن سلاطين آل عثمان و أسرهم، ينظر:/Ar , wikipia,org/wiki

(25)- مذكرات الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ص 29.

(26)- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر، شرح و تعليق ممدوح حقي، ج2، الجزائر، 2007، ص 26.

(27)- جورج الراعي، مرجع سابق، ص 76.

(28)- محمد بن عبد القادر الجزائري، مصدر سابق، ص28.

(29)- نابوليون الثالث(1808-1878)شغل منصب إمبراطور فرنسا في ديسمبر 1852 تحت اسم نابوليون الثالث، تميزت سياسته في الجزائر لمحاولة التقرب من السكان وتبنى القانون المشيخي (سيناتوسكونسيلت) ،كما تبنى سياسة توسعية في أوروبا ،فخاض عدة حروب ضد النمسا وألمانيا ،ولكنه انهزم في معركة سودان في سبتمبر 1870، وسقط أسيرا بين أيدي الألمان، فانهارت إمبراطوريته، وبعد إطلاق سراحه، استقر بإنجلترا حيث بقي فيها إلى غاية وفاته سنة 1873.يُنظر:

Petit Larousse, librairie Larousse, Paris,1980,P1432 .

(30)- محمد بن عبد القادر الجزائري، مصدر سابق، ص 66.

(31)- نفسه، ص 67.

(32)- نفسه،ص 77.

(33)- نفسه، ص78.

(34)- Charles Henry Churchill, Op. Cit., P 314.

(35)- محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص 83.

(36)- محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 83.

(37)- المسجد الذي أمر بتشييده الوليد بن عبد الملك بدمشق انطلاقا من سنة 705م و يعد رابع أشهر المساجد الإسلامية بعد حرمي مكة و المدينة و المسجد الأقصى كما يعد واحدا من أخم المساجد الاسلامية حيث حشد له الوليد صناعا من الفرس و الهنود مائة فنان يونانييوناني بعثهم إمبراطور بيزنطة للمشاركة في تزيينه.

دخله الصليبيون سنة 1260م بعد احتلالهم لدمشق بتحالف مع المغول، ولكن تمكن المماليك بقيادة قطز وبيبرس من استرجاع المدينة و إعادة ترميم المسجد مما سمح باستعادته لمكانته العلمية و الدينية حيث كان ابن تيمية يقوم فيه بتدريس تفسير القرآن ، وعند سيطرة العثمانيين على مدينة دمشق بعد انتصارهم على المماليك في معركة مرج دابق 1516م أدى به السلطان سليم الأول صلاة الجمعة ، ينظر:القاضي حمد بن أحمد كنعان ، تاريخ الدولة الأموية خلاصة تاريخ ابن كثير ، مؤسسة المعارف، بيروت ، 1997.

(38)- Bruno Etienne, Abdelkader isthme des isthmes, Editon SEDIA, Alger 2010, 8.

(39)- محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص 118.

[40]- محمد بن عبد القادر الجزائري، مصدر سابق ، ص 119.

[41]- نفسه، ص 123.

[42]- نفسه، ص 124.

[43]- صلاح أحمد، مرجع سابق، ص 27.

[44]- أدريان بيربروجير، مع الأمير عبد القادر، رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة (1837-1838)، ترجمة أبو القاسم سعد الله، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2010، ص 69-70.

[45]- أدريان بيربروجير، مصدر سابق ،ص 113.

[46]- Bruno Etienne, Op. Cit., P 118.

[47]- عبد القادر بوطالب، الأمير عبد القادر و بناء الأمة الجزائرية من الأمير عبد القادر إلى حرب التحرير، دار دحلب، الجزائر، 2009، ص 104.

[48]- من مدن تركيا الهامة ، تقع في وسط جنوب الأناضول ، بلغت ذروة مجدها عندما كانت عاصمة لسلاجقة وذلك قبل الغزو المغولي لها ، شكلت مركزا سياسيا و اقتصاديا هاما في الدولة البيزنطية ،ثم أصبحت عاصمة السلاجقة الأتراك في أواخر الدولة العباسية و في العهد المملوكي ، تشتهر بموقعها الإستراتيجي و آثارها التاريخية ومساجدها العريقة مثل :مسجد علاء الدين الذي شيد سنة 635هـ/ 1237م، وبها ضريح الشاعر الصوفي جلال الدين الرومي المتوفى سنة 1273م ، ينظر:/ar,wikipedia,org/wiki

[49]- Bruno Etienne, Op.cit., P 117.

[50]- Ibid., P 118.

[51]- Bruno Etienne, Op.cit., P 122.

[52]- A.Benachenhou, l'état algérien en 1830, ses institutions sous Abdelkader, ENAG édition, Alger, 2009, P 79.

[53]- الدوق دومال ،هو الإبن التاسع للملك لويس فيليب ،من مواليد 16. 01. 1822 ،لعب دورا هاما في الحياة السياسية والعسكرية بفرنسا ،إذا كان يحتل رتبة جنرال في الجيش الفرنسي ،وشغل منصب حاكم عام للجزائر في شهر سبتمبر 1847 ،وحضر بهه الصفة مراسيم استسلام الأمير المشروط في 23 ديسمبر 1847، لكن بعد ثورة 1848 بفرنسا اضطر إلى العيش في المنفى بإنجلترا وذلك لمدة 23سنة، يُنظر. Petit Larousse, Op.cit., P1044

[54]- اديب حرب، المرجع السابق، ص 71.

[55]- Charles André Julien, histoire de l'Algérie contemporaine, la conquête et les débuts de la colonisation (1827-1871), Presses universitaires de France, Paris, 1964, P 181.

[56]- A. Benachenhou, Op. Cit., P 138.

[57]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 142.